المحاضرة الثامنة:

الجماعة والانحرافات الاجتماعية (إنحراف الأحداث نموذجا)

مقياس علم النفس المرضي الاجتماعي

طلبة الماستر2 علم النفس العيادي

الهدف من المحاضرة: تعريف الطالب بالانحرافات الاجتماعية وأخذ انحراف الأحداث نموذجا باعتباره من المشكلات التي تمس مراحل حساسة من حياة الفرد والتعرف على الجماعات المختلفة (الأسرة –المدرسة- جماعة الرفاق) التي يكون لها دور في حدوث الانحراف.

يستعمل مفهوم الانحرافات الاجتماعية لتوضيح السلوك الذي لا يتماشى مع القيم والمقاييس والعادات والتقاليد الاجتماعية التي يعتمدها المجتمع في تحديد سلوك أفراده. والدراسات النظرية للانحراف تهتم دائماً بالسلوك غير الوظيفي والسلوك الشاذ الذي يتناقض مع الأحكام الاجتماعية والعرفية الضرورية لعملية التماسك الاجتماعي في النظام أو الجماعة. والسلوك المنحرف حسب آراء العلماء هو خروج عن التوقعات والمعايير الاجتماعية.

1/ تعريف الانحراف:

هو أي انحراف سلوكي عن القاعدة الاجتماعية والثقافية المعمول بها ويعني الاستجابة السلوكية للأفراد الذين لا يستوفون المعايير الاجتماعية والثقافية مثل جرائم مختلفة، وإساءة استخدام العقاقير المخدرة أو المؤثرات العقلية، وإدمان الكحول، والاتصال مع بيئة الشارع وما إلى ذلك. ونتيجة لما سبق، يعتبر السلوك الذي ينتهك استقرار عمليات التفاعل مع المجتمع منحرفًا.

2/تعريف الانحرافات الاجتماعية:

الانحرافات الاجتماعية هي انتهاكات للقواعد والقواعد الاجتماعية المقبولة عمومًا، والتي تتميز بالطابع الجماهيري والاستقرار وارتفاع معدل الانتشار في المجتمع. تتضمن الانحرافات الأكثر شيوعًا الجريمة والبيروقراطية و المخدرات....الخ

3/مفهوم انحراف الأحداث:

أول استخدام لمصطلح انحراف الأحداث كان في بريطانيا سنة 1815، وفي نصف السنة أعدم خمسة أطفال تتراوح أعمارهم بين 8 و بين 12 سنة وذلك في مدينة **(أولدبيلي)**، ويعتبر لفظ انحراف لفظًا عامًا لأن كل الدول في العالم تستعمله، إلا أن الأمر الذي اختلفوا فيه هو مقصوده وطبيعته ومظاهره ودرجة انتشاره التي تختلف من مجتمع لآخر، ونستطيع أن نقول بأن ظاهرة الانحراف يختلف النظر في مفهومها باختلاف الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية في كل المجتمعات. (فتيجة كركوش، 2011، ص09).

4/ تعريف السلوك المنحرف للأحداث:

يمكن تعريف السلوك المنحرف بأنه سلوك مضاد للمجتمع، يستحق نوعاً ما من العقاب أو أنه سلوك يخرق القانون، على أن تحديد مفهوم الجريمة يختلف باختلاف الزمان والمكان، ففي أوقات تحريم الخمور، يصبح بيعها جريمة ولكن بعد زوال الحذر.

أما جنوح الأحداث فيشير إلى الجرائم التي يرتكبها الأطفال والمراهقون الذين لم يبلغوا سناً معينة، وتختلف هذه السن تبعاً لاختلاف المجتمعات، ولكن في أغلب الأحوال تقل هذه السن عند 16 أو 18 عاماً (عبد الرحمن العيسوي، 1984، ص29).

5/ تعريف انحراف الأحداث:

باختصار يعني مفهوم انحراف الأحداث انتهاك القواعد الاجتماعية وعدم التقيد بالمعايير التي يحددها المجتمع الذي يعيش فيه الحدث، وهناك عدة تعريفات نذكر منها:

5-1/ تعريفات اجتماعية لانحراف الأحداث:

يعرف بيرت انحراف الأحداث حالة تتوافر في الحدث كلما أظهر ميولاً مضاداً للمجتمع لدرجة خطيرة تجعله موضوعا لإجراء رسمي.

يركز تعريف "**بيرت**" على العوامل الاجتماعية التي تشكل محور أساسي في تكوين أو بناء شخصية الحدث المنحرف وفي تحديد فعله الجانح.

و يعريف روث كافان أن الانحراف يعني كل حدث أو شاب ينحرف سلوكه عن المعايير والعادات الاجتماعية السائدة في المجتمع، ويؤدي هذا السلوك إلى الضرر بالنفس وبالغير (رشيد حميد زغير، يوسف محمد صالح، 2010، ص18).

وينطوي الانحراف على الفعل المنحرف، ويعني الفعل المنحرف حالة من التصرفات السيئة التي تهدد الحياة، مما يستدعي نوعا من العقاب، فالفاعل منحرف، ومدمن المخدرات منحرف، ومثير الشغب منحرف. (رشيد حميد زغير، يوسف محمد صالح، 2010، ص15).

5-2/ تعريفات نفسية:

تعرف أيفي بنت (Pennet) الحدث المنحرف لأنه ذلك الحدث الصغير الذي أودته الأفعال الإجرامية إلى محكمة الأحداث أو دار تربية الأحداث وقد يتضح من ذلك مظاهر لسوء التوافق وتأصل المشكلات التي يعاني منها، وهذه المشكلات ما هي إلا ردود أفعال مؤقتة أو مشكلات مراهقة ومدى قدرته على إرجاء رغباته الشخصية من أجل تحقيق أهدافه الاجتماعية وقدرته على التوفيق بين سلوكه وبين التقاليد والقواعد الإنسانية للحياة الاجتماعية التي يعش فيها (عدلي السمري وآخرون، 2010، ص118).

وتعرف أكهورن انحراف الأحداث بأنه اضطراب في السلوك يرجع إلى اضطراب في النمو النفسي نتيجة لعدة عوامل مختلفة تكون عائق في النمو، تؤدي إلى النقص في الشخصية، ويقول أن عدم التوافق ينشأ من عدة عوامل داخلية وخارجية تمنع النمو **العادي** للحدث.

ويعرف ألكسندر الحدث المنحرف هو الذي تسيطر الدوافع الغريزية والعدوانية على قيمه الاجتماعية، وأن الاضطراب في البيئة يكون بمثابة عوامل لخلق الشخصية غير السوية وغير الاجتماعية، فالبيئات الانحرافية تنتج أكثر المنحرفين (رشيد حميد زغير، يوسف محمد صالح، 2010، ص20).

حيث أن رواد علم النفس ينظرون إلى الأشخاص مرتكبي الانحرافات والأفعال الإجرامية على أنهم مصابون بمرض نفسي وهم بحاجة إلى العلاج والإرشاد.

5-3/ التعريف القانوني لانحراف الأحداث:

يعد انحراف الأحداث مفهوما ذو وضع خاص يجعل من الصعب تعريفه بسبب دلالته السلوكية، ويعرف انحراف الأحداث عادة على أساس عنصرين يكونان هذا المفهوم وهما:

أ- مرحلة الشخص القاصر.

ب- الفعل الذي يأتيه مثل هذا الشخص الذي يعتبر انحرافاً طبقاً لقوانين بلده على أنه يجب القول بأن تحديد الشخص القاصر، ومركزه وتحديد ماهية الفعل المنحرف يختلفان اختلافاً كبيرا عند تفسيرهما من مكان لآخر بل ومن زمن لآخر (عدلي السمري وآخرون، ط1، 2010، ص98).

6/ العوامل النفسية والاجتماعية لانحراف الأحداث:

إن العوامل التي يخضع إليها الإنسان في نشأته ونموه وفي ارتباطه بغيره أو مجتمعه تُكيف حياته وتؤثر على سلوكه الصالح أو الإجرامي، وتتمثل العوامل النفسية والاجتماعية في:

6-1/ العوامل النفسية:

إن فشل الفرد في الحصول على رغباته خاصة عندما يصاحبه ضغط اجتماعي عاطفي شديد يعتبر عاملا مهما من أسباب الجريمة وعلى الأخص في جنوح الأحداث، حيث تلعب العوامل العاطفية دورا مهما في الدفع للسلوك الإجرامي، لأن شدة الكبت الناشئ عن الرغبات الكامنة في اللاشعور تجد فرصة أثناء ضعف الأنا فتظهر بشكل من أشكال السلوك الذي لا يتلاءم والقواعد المتعارف عليها، وتعتبر الاختلالات الغريزية المنحرفة والأمراض النفسية دوافع تساعد على ظهور السلوك المنحرف، وبهذا يكون الانحراف وليد الصراع النفسي للإنسان بين الدوافع والدوافع المقيدة أو الكابحة.

6-2/ العوامل الاجتماعية:

من أهم العوامل التي تسبب الجنوح لدى الحدث العوامل الاجتماعية لأن الإنسان اجتماعي بالطبع وهذه الصفة تجعله يشترك مع الآخرين بشكل اختياري أو جدي، وعليه فإن نسبة عالية من سلوكاته تكون نتيجة هذا التعايش الاجتماعي.

إن العوامل الاجتماعية تنال في الوقت الحاضر قسطاً من اهتمام الباحثين في أسباب الجريمة، أي أن المجتمع هو الذي يهيئ الفرد للانحراف، ويفسر هذا الخلل الذي يظهر لدى الحدث في ضوء البيئة الأسرية، والبيئة المدرسية وبيئة العمل وكل هذه العوامل تساعد على تكوين السلوك الإجرامي (نسرين عبد الحميد نبيه، 2008، ص ص 160، 161).

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الجنوح ظاهرة نفسية اجتماعية، متعلقة بالحدث الجانح وعلى ضوء ما يفسر سلوكه ومن أجل اتخاذ التدابير اللازمة وتحديد طرق العلاج.

ويمكن تفسير انحراف الأحداث من الناحية الاجتماعية وتأثير **الجماعات** في ذلك كما يلي:

أ/ الأوساط الاجتماعية المؤثرة في انحراف الأحداث:

لقد ركز "**دوركايم**" **(Durkeim)** وغيره من علماء الاجتماع على أهمية الوسط الاجتماعي في تفسير ارتكاب الجرائم، وذلك أن الوسط الاجتماعي ليس دوره فقط بناء الفرد بل يتعداه إلى ضبط سلوك الفرد وجعله يتوافق مع قيم ذلك الوسط، ويقصد هنا بالوسط الاجتماعي الأسرة والمدرسة، وجماعة الرفاق، الحي، حيث تؤثر جميع هذه الأوساط على سلوك الحدث سلبا أو إيجابا.

ب/ الأسرة:

تعد الأسرة المحتضن الأساسي الذي يبدأ فيه تشكل الفرد وتكون اتجاهاته وسلوكه بشكل عام، فالأسرة تعد أهم مؤسسة اجتماعية تؤثر في شخصية الكائن الإنساني، وذلك لأنها تستقبل الوليد وتحافظ عليه خلال أهم فترة من فترات حياته وهي فترة الطفولة "إنها فترة حرجة في بناء شخصية الفرد فهي في رأي علماء النفس فترة تأسيس وبناء" وفي هذا أشار حديث رسول الله ﷺ في قوله: «يولد المولود على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه»، فالأسرة تعلب دورا رئيسيا في رسم شخصية الفرد وسلوكه، فمن خلالها يتعلم الطفل كيف يتحكم في رغباته وكبح بعض ميوله التي لا تتوافق مع المجتمع، وبهذا فأسس الضبط الاجتماعي تغرس بواسطة الوظيفة التربوية للأسرة. (شحاتة محمد ربيع، 1994، ص78).

فالأسرة المفككة عامل رئيسي في انحراف الأحداث وسلوكهم طريق الجنوح وقد يكون للأسرة المستقرة دور في جنوح أبنائها في حالة عدم إتباع السلوك الصحيح للتنشئة السليمة، أو تقوم على

اتجاهات والدية سالبة مثل: التسلط، والقسوة، الرعاية الزائدة، التدليل، الإهمال، الرفض والتفرقة في المعاملة بين الأبناء. (معن خليل العمر، 2009،145).

وسنستعرض بعض الدراسات والبحوث التي كشفت العلاقة بين الأسرة وانحراف الأحداث وهي:

- **متغيرات بنائية:**

من بين المتغيرات الأسرية التي شغلت مساحة واسعة من الاهتمام ولفترة طويلة من الوقت متغير(البناء)، مثل الدراسات التي تناولت حجم الأسرة، تسلسل الأبناء، والتفكك الأسري، واشتغال الأم خارج المنزل. إنما في الواقع أخذ حجم الأسرة أقل الاهتمامات في هذا الضرب لأنه مرتبط بمتغيرات أخرى مثل الفقر والبطالة والمحيط الاجتماعي والصفات العرقية والقومية فضلاً عن كون حجم الأسرة يعد متغيرا غير ثابت أي متقلب ومتغير باستمرار عبر الوقت. ولتأكيد ما ذكرناه آنفاً نشير إلى الدراسات التي تناولت هذا المتغير مثل "**جلوك**" 1950 و"**سلوكوم**" و"**ستون**" 1963 الذين حددوا حجم الأسرة على أنه عامل مؤثر على إفراز جنوح الأحداث وكذا الحال مع دراسات "**تاي**" 1973 "**أورايس**" 1952 اللذين وجدا معدل عالي من الجانحين منحدرين من أسر ذات حجم كبير وذا نفسية متدنية ووضيعة، وذكر "**هيرساش**" 1971 أن جنوح الأحداث له ارتباط بحجم الأسرة، وقد عزز ذلك كل من دراسة "**اندورا**" 1976، "**وبيلز**" 1971 (معن خليل العمر، 2008، ص268).

- **متغير تسلسل الأبناء:**

إن تعدد الأبناء في أسرة كبيرة لا يسمح بالاهتمام والرعاية الكافية من الأبوين لكل واحد منهم وبشكل متساوي أو متكافئ، إذ يحصل الوليد الأول أو الأكبر على الاهتمام والرعاية أكثر من الثاني أو الثالث وحتى أكثر من الأخير (الأصغر)، لذا فإن احتمال جنوح الصغير والوسط أكثر من الكبير وهذا ما أوضحه وأكده كل من "**تاي**" 1973 و"**هاسكيل**" و"**بابلونكي**" يرتبط هذا المتغير باشتغال الأم خارج منزلها وابتعادها عن رعاية أبنائها وبالذات عندما يكون حجم أسرتها كبيرا فالاحتمال يكون قائما إذا انحرف أحد أبنائها، بسبب انشغالها خارج المنزل بالعمل وترك رعاية أبنائها لأقاربها أو أصدقائها أو للآخرين فإن جنوح السلوك سوف يقع لأحد منهم، وهذا ما أوضحه "**جلوك**" و"**تاي**" 1973 عند مقارنة

الجانحين مع غير الجانحين لأمهات يعملن خارج المنزل فوجد أن الجانحين أمهم تعمل خارج المنـــزل، ولا يوجد لديها الوقت الكافي للاهتمام بهم ورعايتهم مثل الأم التي لا تعمل خارج المنزل.

- **متغيرات وظيفة الأسرة:**

هناك عدد من البحوث الميدانية تناولت هذا الموضوع، استطاع كلٌ مـــن "**لودوينـــك جيســـمار**" و"**كاترين وود**" 1986 أن يصنفا هذه البحوث إلى أربعة فيها علاقة بين الجنوح ووظيفة الأسرة :

- تأثير الأبوين.. القبول مقابل الرفض.
- علاقات أسرية.
- إشراف الأبوين وتوجيههما.
- انحراف الأسرة بما فيها تفككها.

فيما يلي نتطرق لشرح الصنف الأول تأثير الأبوين.. القبول مقابل الرفض:

وجد "**بولبي**" 1952علاقة وطيدة بين رعاية الأم لطفلها وعلاقتها به، قال عنها إنها تمثل مفتاحاً رئيسياً في نمو الطفل لأنه يحتاج إلى شعور دافئ صادر عن علاقة حميمة ودافئة، وعند غيـــاب هـــذا الشعور فإن الحرمان الأموي سوف يولد الكثير من الأمراض النفسية عند الطفل التي قد تدفعـــه إلـــى الانحراف. مثل هذه الأمراض: العدوان نحو الأم أو طلبات تعجيزية أو تسطح في الارتباط العاطفي أو الانسحاب أو البلادة الذهنية، علما بأن مدة الحرمان العاطفي إذا طالت زادت من تلك الأمـــراض، لـــذا فإن العلاقة والعاطفة الدافئة بين الأم والطفل تعمل على إنماء الشعور الإنســـاني المتصـــف بالشـــفافية والرقى الإحساس الخالي من العقد النسبية والاضطرابات السلوكية، أكد هذه النتيجة "**جلـــوك**" **1950و 1962** عندما قارن بين جماعتين من الأحداث الجانحين وغير الجانحين. أوضحت معلوماته بأن العداء السافر بين الأبوين والأبناء أو حتى بين الأبوين أنفسهم والتأثير البسيط والسطحي من قبل الأبوين على الأبناء ظهر كسبب فاعل في جنوح الأبناء، ليس هذا فحسب بل عزز هذه النتيجة عالم النفس المعروف "**باندورا**" والآخر "**ولتيرز**" **1959** اللذين وجدا مؤشرات مشابهة لما جاء بها "**جلوك**" إذ وجد أن الآبـــاء أكثر تأثيراً على أبنائهم عندما يكونون معادين لهم، أي عندما يكون عداء بين الآباء وأبنائهم فإن ذلـــك العداء يدفع الأبناء نحو الجنوح، قارن هذه النتيجة مع العلاقة الطيبة بين الآباء والأبناء غير الجـــانحين

وجاءت دراسة "**تاي**" **1973** بنتيجة مشابهة عندما قالت بأن القبول المشترك والتبادل والرفض المشترك والتبادل بين الأبوين وأبنائهم ذا علاقة وطيدة بجنوح الأبناء (الأحداث). ثم جاءت دراسة "**أندريه**" **1962-1971** لتكشف أن القبول والرفض المشترك والتبادل بين الأبوين والأبناء ذو علاقة جوهرية مع جنوح الأحداث وأن هناك فرقاً شاسعاً بين هذه العلاقة والعلاقة الحاصلة بين الأبوين والأبناء غير الجانحين، إذ أن الأحداث غير الجانحين يرون أن حرص ومسؤولية الأبوين عليهم يجعلهم أكثر قربا منهم وأكثر شعورا بمسؤوليتهم نحوهم، وهذا ما ولد عندهم (الأبناء) إدراكاً لهذه المسؤولية واحترامها وتقديرها ووجد "**أندريه**" أيضا أن الأحداث الجانحين يشعرون بحب أمهاتهم أكثر من حب آبائهم لهم، بينما غير الجانحين يشعرون بحب والديهم معاً دون التفريق بينهما أو مفاضلة أحدهما على الآخر في حبهم لأبنائهم.

وأن الأحداث الجانحين يشعرون بأن آباءهم وبالذات والديهم يشعرون بالخجل والإحراج لعرض تأثيرهم بشكل علني عليهم، أقول يؤثرون على أبنائهم بشكل غير مباشر وبصورة مستترة أو مغلفة، في الوقت ذاته يشعر الأبناء أنفسهم بالخجل والإحراج بعرض تأثيرهم بشكل صريح وعلني على أبويهم.(معن خليل العمر، 2008، ص270).

- **المدرسة:**

تأتي المدرسة في المرتبة الثانية من حيث الأهمية في تنشئة الطفل، لأنها تعمل بالتعاون مع الأسرة من أجل توسيع مدارك الطفل وجعله يحب المعرفة والتعليم، كما أن لها الدور الفعال في تنمية مختلف جوانب الطفل النفسية والاجتماعية والأخلاقية والسلوكية، لأن الطفل في السنوات الأولى من عمره يكون مطبوعا على تقليد كل ما يسود مجتمعه وأفراده، والمدرسة لا تكسب العلم والمعارف للطفل فقط بل هي نسيج معقد من العلاقات الخاصة بالطفل الصغير وجماعات جديدة يتعلم الطفل في جوها المزيد من المعايير الاجتماعية في شكل نظم كما يتعلم أدوار اجتماعية جديدة.

ج/ جماعة الرفاق:

تتكون شخصية الطفل وسلوكياته بواسطة العديد من المؤثرات وإن كانت الأسرة والمدرسة من أبرز تلك المؤثرات، فجماعة الرفاق لا تقل في الأهمية عما ذكر، بل قد تفوق تأثيرات الأصدقاء تأثيرات العوامل السابقة لأن جماعة الرفاق تتيح للحدث فرصة تحدي الوالدين من خلال قوة الجماعة

الجديدة التي صار جزءا منها، والتي تسانده في إظهار التحدي، وأصدقاء الحدث نستطيع أن نصـــنفهم إلى ثلاث أصناف رئيسية يختلف تأثير كل صنف عن الآخر وهؤلاء الأصناف هم:

- أصدقاء الحدث المماثلون له في السن.
- أصدقاء الحدث الأكبر منه سناً.
- أصدقاء الحدث من الأقارب والجيران.

ويختلف أثر كل صنف على الحدث في اكتساب السلوك المنحـــرف فنجـــد أن أشـــدها خطـــورة وأكثرها تأثيراً على الحدث الصنف الثاني الذين يفوقون الحدث سناً، إذ يعتبرهم الحدث المثل الأعلـــى ويرى أن انحرافهم بطولة فيسعى إلى تقليدهم والاقتداء بهم وقد يتطور الأمر إلى اســـتغلال الصـــديق البالغ في عدة أمور كالسرقة، ترويج المخدرات، الشذوذ الجنسي، وغيره من الانحرافـــات. (عبـــد الله ناصر السدحان، 1994، ص93).